كلية الآداب

جامعة عين شمس

قسم اللغة العربية وآدابها

الديستوبيا وبنية السرد في الرواية العربية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

مقدمة من الباحث

نجدي عبد الستار محمد نجدي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور / عبدالناصر حسن

أستاذ النقد والبلاغة بكلية الآداب

جامعة عين شمس

الدكتورة / هدى عطية

مدرس النقد والبلاغة بكلية الآداب

جامعة عين شمس

الإهداء

إلى أبي وأمي رحمهما الله وتغمدهما بسابغ رحمته وأسكنهما الفردوس الأعلى، لهما مني كل الحب والعرفان.

إلى إخواني لهم مني كل الحب على دعمهم لي.

إلى رفيقة الدرب (زوجتي) لك كل الحب والتقدير على جهدك وتعبك معي.

إلى أحباب قلبي وسعادته (فاطمة، مصطفى، إسراء، عبدالرحمن).

إلى كل من منحني وقته وجهده ومد يد المساعدة كي أنجز هذا العمل، شاكرًا الله على نعمه التي لا تحصى ولا تعد والحمد لله كثيرًا.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه إياي في إنجاز هذا البحث، وأتقدم بكل معاني الامتنان والشكر الجزيل لكل من ساندني في هذه الدراسة، والشكر كل الشكر لأستاذي الدكتور عبدالناصر حسن الذي منحني وقته واهتمامه بوجه ملائكي وابتسامة تذلل كل صعب وتحيل كل عسير لسهل، وإلى أستاذتي الدكتورة هدى عطية التي لم تفتأ أن تقدم المساعدة وترشدني إلى الدروب الصحيحة إذا ما غُمت علي الرؤية؛ فكانت . وبحق . نبراسًا يهديني إذا ما ضللت الطريق، جزاها الله عني خير الجزاء، والشكر كل الشكر للأستاذة الدكتورة عزة شبل على ما قدمته لي من عون الذين يمدون يد المساعدة لكل من يتلمس طريقا للعلم، كما أتقدم بكل الشكر والعرفان لأستاذيَّ الفاضلين الأستاذ الدكتور سعيد الوكيل والأستاذ الدكتور خيري دومة على ما تفضلا به من وقتهما وجهدهما في قراءة هذا العمل، وما يقدمانه لي من ملحوظات قيمة تثريه، سائلاً الله أن يهديني إلى الصواب، وما فيه الخير والرشاد.

نجدي عبد الستار

المقدمة

في العقود الماضية قامت دراسات نقدية جادة ومتعمقة حول الرواية شملت أنواعها الأدبية المختلفة عاكسة دورها في التعبير عن الحياة، وعن أحلام الناس وآمالهم، تلك التي ينتظرون تحقيقها عاجلًا غير آجل، إلا أنها حين تستحيل عليهم في الواقع ينذرون أرواحهم لها في قادم يكون أفضل وأجمل، هذا القادم الذي يجب أن يكون موسومًا بعدالة بين أفراده، ويعملون فيه غير خائفين من فوات فرصهم وتحقيق طموحاتهم، وهذا ما يمكن أن يسمى بالمجتمع اليوتوبي الذي أوجدته الرواية في فترات زمنية مختلفة.

فاليوتوبيا – بشكل عام – مجتمع يحلم بالقادم مراهنًا على ذوات أشخاصه مهاجمًا واقعه السخيف، مناديًا بمجتمع نظيف في مشاعره، راق في أفكاره، إلا أن هذه النظرة الحالمة لم تظل مستمرة، بل بدأت في الانسحاب من عقول الفلاسفة والأدباء على حد سواء بعد أن تراجعت الكثير من المفاهيم داخل المجتمع الإنساني، وأكد ذلك التراجع والانسحاب لليوتوبيا راسل جاكوبي بقوله: "لقد تلاشت روح اليوتوبية بمعناها المتمثل في أن المستقبل يمكن أن يتجاوز الحاضر، وهذه العبارة الأخيرة تغامر بأن تكون موضوعًا لسوء الفهم المباشر حيث إن كلمة يوتوبيا اليوم أصبحت تعني ضمن ما تعني عدم الاتصال بالواقع أو نوعًا من قصد العدم[١]. "

يرجع ذلك الانسحاب لليوتوبيا إلى عدم الإحساس بالأمان، والتكالب على المصالح الاقتصادية في هذا العالم الذي تحول إلى قرية صغيرة مفتحة نوافذها من كل اتجاه، فأصابتها ريح السموم، وغاب عنها الوعي، ومات الضمير، وتحول المجتمع إلى أشباح بلا أرواح متجردين من إنسانيتهم، يتصف أصحابه بضعف الذات وخيبة

[١] - راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة، ترجمة، فاروق عبدالقادر، عالم المعرفة، عدد٢٥٩، سنة ١٩٧٨، ص٩.

الأمل والسخط على كل ما حولهم؛ ليتحول في النهاية إلى مجتمع ديستوبي تتكرر فيه الكوارث بكل أشكالها، من كوارث سكانية واجتماعية وسياسية؛ ليمارس في هذا المجتمع القمع السياسي بكل ألوانه؛ فيصبح المجتمع مؤهلًا للتفكك والضياع، ويشبه الكابوس الذي يؤرق المضاجع ويفسد الواقع، ومن خلال هذا الواقع المؤلم نشأ مصطلح الديستوبيا الذي عبرت عنه الرواية الديستوبية خاصة في العقود الأخيرة.

لم يكن مصطلح الديستوبيا مصطلحًا حديث النشأة كما يظن البعض لكنه موجود في العلوم الفلسفية، وقد ذكره جون ستيوارت ميل[١] في خطاب برلماني عام ١٨٦٨، إلا أنه تبلور كمفهوم متعارف عليه في منتصف القرن العشرين، وأكدت نعيمة علي أن هذا المصطلح قديم ولم يكن الأدب وحده هو الذي أوجد هذا المفهوم[٢]، رغم أن الأدب هو من استطاع أن يؤسس له من خلال فن الرواية ليكون خصائص تميزه عن غيره من الأنواع.

هذه الخصائص مرتبطة بعقد يمثل الوحدة الزمنية التاريخية؛ أي الشرط التاريخي الذي ولدت فيه الرواية الديستوبية. فالرواية الديستوبية لم تولد من فراغ بل ولدت نتيجة صراع محتدم بين ما يجب أن يكون وما هو كائن من تصرفات سلوكية وفعلية من مختلف الأشخاص المشاركين في أحداثها؛ فهي مرتبطة بالسياق التاريخي للحاضر والماضي حتى ولو كانت أحداثها في المستقبل كما سنوضح، ذلك أن " هناك شرطًا تاريخيًّا دون سواه قد أنتج المناخ الملائم لنشوء هذا الجنس الأدبي، دون سواه أيضًا. وعليه فإن شرط النشأة هذا، لا بد أن يسهم –على نحو أو آخر– في تكوين خصائص الجنس الأدبي الذي شكَّل استجابة إبداعية أدبية له[٣]"، وكانت الاستجابة مع

---

[١] - فيلسوف ومفكر اقتصادي إنجليزي؛ يعد من رموز المذهب النفعي في الفلسفة. ترك عدة مؤلفات ساهمت في إثراء الفكر الإنساني.
[٢] - انظر، نعيمة علي عبد الجواد، ديستوبيا الواقع واليوتوبيا المأمولة في رواية آلة الزمن، مجلة فكر وإبداع مصر، ج٥١، سنة ٢٠٠٩، ص١١١.
[٣] - جهاد عطا نعيسة، في مشكلات السرد الروائي قـراءة خـلافية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سنة ٢٠٠١، ص١٣.

أعمال روائية معبرة عن القلق الذي يعتري المجتمع الإنساني خاصة في عصرنا الحديث الذي اختلفت فيه المعايير الأخلاقية والاجتماعية عما كانت في الماضي.

والرواية الديستوبية ذات نزعة عامة متحررة من التجارب الذاتية، وصانعة لنفسها عالمًا خاصًا متكاملًا، حاملةً الغرائبية في طرحها أحيانًا مع جدة فيه، هذا الطرح يتنبأ بقادم سوداوي حاملًا التحذير من الواقع المعيش، ومع هذه الجدة التي اتسمت بها الرواية الديستوبية لم تغفل الصياغة الأدبية والفنية، بل تميزت بهما ما جعلها محط أنظار المتلقي بصفة عامة والناقد بصفة خاصة.

وقد انتشرت فكرة الديستوبيا بمفهومها الذي توصل إليه البحث من خلال أعمال داخل الوطن العربي من أهمها هي: رواية صبري موسى (السيد من حقل السبانخ ١٩٨٧)، ورواية (يوتوبيا ٢٠٠٨) لأحمد خالد توفيق، وعلى دربه نشر المصري محمد ربيع روايته (عُطارد ٢٠١٥)، وفي العام نفسه نشر سعود السنعوسي روايته (فئران أمي حصة).

هذه الظاهرة الموجودة التي بدأت في الانتشار لم تنل حظها من الدراسات العربية بالتطرق إلى مفهوم الديستوبيا وأنواعها والقرائن الدالة عليها أو التيمات الخاصة بها؛ لهذا كان الأمر محفزًا لكشف اللثام عن تلك الظاهرة التي بدت في الانتشار في العالم الروائي العربي بمختلف أشكالها، والتصدي لها من أجل معرفة نشأة المفهوم ومتى ظهر، ثم تحديد مفهوم خاص من قبل الباحث، وتحديد أنواع مستقاة من الأحداث الروائية، ثم استخلاص قرائن لازمة لتحديد النوع الروائي على أنه ديستوبي، ثم استخلاص تيمات مصاحبة للرواية الديستوبية عبر الحدث والشخصيات والزمان والمكان، وسيتم الحديث عنها في موضعها، مع العلم عدم وجود مراجع بالعربية أو مترجمة تتحدث عن هذا النوع الروائي إلا بعض المقالات الأجنبية التي أشارت إلى

ظهور المفهوم دون التطرق إليه كمصطلح له سماته الخاصة، أو إلى أنواعه المختلفة. والاطلاع عليها جاء من قبيل محاولة التعرف على الجهود السابقة التي تفتح كوى تسلط الضوء على ما يملكه النص الديستوبي من خصائص تميزه عن أقرانه. وقد ترجم الباحث المقالات مستعينًا في ذلك ببرامج الترجمة. ومن الدراسات الأكاديمية التي استعان بها الباحث رسالة دكتوراه بقسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب في جامعة القاهرة بعنوان (دراما ما بعد الاستقلال من اليوتوبيا إلى الديستوبيا في مسرحيات مختارة من تأليف وول سوينكا ومسرحيات مصرية حديثة) للباحثة مروة عصام التي جاءت دراستها مركزة على مفهوم اليوتوبيا من خلال دراسة تطبيقية على المسرح وأشارت إلى الديستوبيا بإشارات استأنست بها هذه الدراسة.

وجدير بالذكر أن مفهوم الديستوبيا والأنواع والقرائن والتيمات وأنواع الشخصيات الديستوبية وخصوصية الزمان الديستوبي والمكان هي خلاصة البحث وهي جهد نسعى أن يكون مهادًا لمن يتناول هذا النوع الروائي من خلال النقد الأدبي.

وقد اعتمد البحث على المنهج البنيوي في تحليل البنى السردية بشكلها ومضمونها بما كان لهما من أهمية في التحليل، فالمضمون يكتسب واقعه من البنية، ونتيجة لهذا التصور فإن البنية لا تفصل الواقع، بل هي تمنح الفرصة لمعرفته بجميع ظواهره[1] من خلال قوانين ركزت على الأنساق الداخلية، وقد ركزت الدراسة على استخلاص المفهوم في ارتباطه بهذه البنى وصولًا لسبر غور ظاهرة الديستوبيا وفك شفراتها المتداخلة عبر تحليل أعمال أدبية ترتاد دروبًا جديدة في العالم السردي، وبيان مدى تأثر عناصر البنية السردية من (حدث، وشخصيات، وزمان، ومكان) بهذا النوع الجديد الذي كان له أثر واضح في تشكيلها.

[1] - انظر، صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ط١ ص ١٩٩٨.ص١٣٣

وقد قسم البحث إلى خمسة فصول، مندرجًا من كل فصل بحوث عدة؛ ففي الفصل الأول الذي جاء بعنوان (الرواية الديستوبية بين النشأة والتطور) حاولت الولوج إلى عالم الديستوبيا بالحديث عن مناهضها من أجل الوصول إلى لبها، وذلك من خلال الحديث عن اليوتوبيا(الوعي الحالم واليوتوبيا)، ثم تلاشيها تدريجيًّا أمام الديستوبيا التي بدأت في الظهور. وجاء المبحث الثاني كاشفًا عن (نشأة الديستوبيا وتطورها وانسحابها إلى الأدب)، وظهورها كنوع أدبي في العقد الأخير بالوطن العربي، ثم تناول مفهومها وتحديده من خلال مظاهرها وخصائصها، ثم المبحث الثالث متناولاً (أنواع الديستوبيا والقرائن اللازمة لها ثم الانتهاء بالتيمات الخاصة بالعمل الروائي الديستوبي).

في الفصل الثاني عرضت (الحدث كمفهوم نظري من وجهة النظر الديستوبية) ثم التطبيق في المبحث الثاني من خلال مفاهيم ديستوبية تدور الأعمال الروائية حولها، وأدرجتها في أربعة من هذه المفاهيم رأيت أنها الأجدر بتوضيح أنواع الديستوبيا ليكون عنوانه دور النوع الروائي في تشكل الحدث وهي:

١- ديستوبيا الهُوِيَّة

- تناول البحث فيها سبب فقد الإنسان لهويته وعدم ارتباطه بالمكان فيعيش فيه منعزلًا وخائفًا ومطاردًا.

٢-ديستوبيا الهُوِيَّة الدينية

- تناول البحث فيها الخلافات المذهبية وأثرها على الإنسان وتحويل المجتمع إلى مجتمع ديستوبي تسوده الصراعات التي تهوي بالوطن في حرب مذهبية بين (السنة والشيعة)

٣-ديستوبيا الحقوق، ويندرج منها:

- ديستوبيا الحريات: في هذا المبحث آثرت الكشف عن انتهاك الحريات في المجتمع الديستوبي وتأثيرها على الحدث.

- ديستوبيا العدالة الاجتماعية وكيف أنها تصنع الطبقية بين أبناء المجتمع الواحد فتقسمه لطبقة يوتوبية وأخرى ديستوبية.

٤-ديستوبيا الآخر (ديستوبيا الحضور الإنساني للمرأة) في هذا الجزء تناول البحث العلاقة الطاردة بين الرجل والمرأة وكيفية نظر كل منهما للآخر في المجتمع الديستوبي.

٥- في الفصل الثالث تناولت الحديث عن الشخصية والتي تعتبر النبض الحي للنص فهي الرئة التي يتنفس بها العمل الأدبي، تلك التي يتلاشى العمل الفني من غيرها، ويصبح لا وجود له، ما جعل مدارس النقد على اختلاف عصورها تمنح الشخصية مكانتها، باعتبارها مكونًا سرديًّا مهمًّا لا يمكن التقليل منه، والشخصية الديستوبية هي صاحبة الحراك النقدي الهائل في بنيتها ودورها الفعال في الخطاب السردي، لهذا توقفت عند ما يلي:

في المبحث الأول تحدثت عن وظيفة الشخصية الديستوبية ودورها في سير الأحداث ونموها، مقسما إياها إلى:

- الشخصيات المتسلطة.
- الشخصيات المتناقضة.
- الشخصيات اللامنتمية للواقع الديستوبي.

في المبحث الثاني تناولت الأبعاد المختلفة للشخصية الديستوبية من أبعاد (خارجية ونفسية واجتماعية) وأثرها في الحدث الديستوبي.

في المبحث الثالث تناولت دلالة الأسماء المختارة في الأعمال الديستوبية ومدى مقصدية الكاتب في اختيار هذه الأسماء وتطابقها على أبعاد الشخصية الديستوبية.

في المبحث الرابع تناولت علاقة الشخصيات بالراوي ومدى تأثر الحدث بهذه العلاقة موضحًا أنواعه، والمسافة بينه وبين المؤلف الضمني.

في الفصل الرابع المعنون بـ :(بنية الزمن الداخلي في الروايات الديستوبية) مهدت عن الزمن الديستوبي ومدى اختلافه عن الزمن الطبيعي ودوره كبنية سردية ذات دلالة على الأحداث، ليتطرق البحث إلى أنواع الزمن المقسم إلى بنيتين زمنيتين متصاحبتين هما: (البنية الزمنية الخارجية، والبنية الزمنية الداخلية) والبنية الزمنية الخارجية تنقسم إلى :(زمن الكاتب– زمن القارئ – الزمن التاريخي). والبنية الزمنية الداخلية تنقسم إلى: (زمن القصة – زمن السرد – زمن القراءة) واهتمت الدراسة بالزمن الداخلي الذي يعتبر المحور الأساسي للنص، وله أشكال عديدة محاولًا استكناه مناطق الإبداع في الرواية من خلال زمنها.

في المبحث الثاني (زمن القصة) وهو زمن الرواية الفعلي الذي دارت داخله الأحداث محاولًا إيجاد سبب الاختيار لهذه الحقبة ومدى ارتباطها بالزمن الواقعي المعيش للكاتب.

في المبحث الثالث تناولت (النظام الزمني، أو بنية النظام السردي)، ودراسة هذا النظام تعود إلى مقارنة الأحداث المتواجدة في القصة وتواجد هذه الأحداث نفسها في السرد وما يتوالد عنها من علاقات متعددة، وأشهرها على الإطلاق هما (الاسترجاعي والاستباقي) محاولًا إيجاد سبب اختيار كل منهما في الأعمال وأثرها على الأحداث.

في المبحث الرابع والأخير بهذا الفصل تناولت (مدى المفارقة الزمنية) ومعه الوقفة والحذف بأنواعه (الصريح والضمني والافتراضي) ولجوء الكاتب الديستوبي لكل منهما ومدى أثرها في الحدث الديستوبي.

في الفصل الخامس والأخير المعنون بـ :(بنية المكان في الروايات الديستوبية) آثرت أن أبدأ هذا الفصل بتمهيد عن المكان ودوره في البناء السردي الديستوبي واختلافه عن طبيعة المكان الحقيقي المعيش أو مدى ارتباطه به ومدى تأثره بالحدث وما يضفيه على الشخصيات من صفات، متطرقًا إلى الأماكن المغلقة على الداخل (أماكن الإقامة الاختيارية مثل البيوت بمخلف مستوياتها (الشقة ، حجرة على السطوح)، وأماكن الإقامة الجبرية وأثرها (كالسجن مثلا أو العزلة المجبرة على الإنسان والقسم) والأماكن المغلقة هي الأكثر وجودًا في الأعمال

الديستوبية، ثم تناولت الأماكن المفتوحة على الخارج (أماكن مفتوحة خاصة وأماكن مفتوحة عامة) والأماكن المفتوحة الخاصة تنقسم إلى (أماكن مفتوحة خاصة غير مقيدة وأماكن مفتوحة خاصة مقيدة) والأماكن المفتوحة العامة مثل (فضاء الأحياء والساحات والميادين) وأثر كل منهما على تنامي الحدث الديستوبي ونقل الفكرة كما يريد الكاتب.

انتهى البحث بنتائج يرى أنها ذات أهمية لكل من يرتاد درب العالم الروائي الديستوبي، هذا النوع الجديد الذي نأى بنفسه عن التقيد بالأشكال الثابتة المتعارف عليها واضعًا لنفسه قواعد رسمت ديناميكية خاصة به، من أجل ذلك وجب على الناقد أن يقف متأملًا هذا النوع من أجل استنطاق أبحاث لم يسبق إليها ومنطلقة من نقطة جديدة[١].

هذه الانطلاقة لهذا العالم الروائي حاول الباحث أن يضع اللبنات النقدية الأولى لها؛ لقلة من ارتادوا طريقه أو لندرته، وهذا الأمر يعتبر من أكثر العقبات التي واجهت العمل، إلا أن جسارة النص الديستوبي الواضحة في إبداع من كتبوا هذا النوع الأدبي، كانت محفزًا لخوض التجربة حتى نهايتها، متحملًا بعض المشقة التي تتوارى خلفها بهجة لا تقل عن بهجة السارد بما كتب، تلك التي شجعت الباحث على ارتياد الطريق متسلحًا بنصائح أساتذته (الدكتور عبدالناصر، والدكتورة هدى)، هذه النصائح التي ساهمت في فك شفرات العالم السردي الديستوبي، وذللت الصعاب التي واجهت البحث.

في النهاية أسأل الله أن يكون هذا العمل نافعًا وأن يقدم للبحث الأدبي ما يستفاد به.

[١] - انظر، آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى أحمد مصطفى، تقديم لويس عوض دار المعارف. ١٩٩٨، ص٢٠.

الفصل الأول

نشأة الرواية الديستوبية

من اليوتوبيا إلى الديستوبيا

اليوتوبيا والوعي الحالم..

في عصرنا الحالي حملت الرواية دورًا مختلفًا بعد أن تنوع مجالها، وأصبحت في موضع تقاس بها حياة الشعوب وأحلامهم وآمالهم، تلك التي تتحقق في مجتمعٍ محكمِ التنظيمِ سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، مجتمعٍ يضمن للجميع أن يعيش في أمن ومساواة ورخاء، تتلاشى فيه روح الشخصنة، وتحيا فيه روح الجماعة، وهو أمر لا يكون إلا في انصياع المحب الذي تُمحى منه الأثرة، ويعلو فيه الإيثار، وقد ترجم على أرض الواقع مع كل نبي وأصحابه الذين آمنوا به وبدعوته، فرغم ما وجدوه من اضطهاد، ومن صعوبة العيش وشظفه، إلا أن هناك ما هو أسمى وأعلى جعلهم يتوحدون معه، باحثين عنه في ذاك المكان الذي أخبرهم عنه نبيهم، هذا الذي لم يخطر على قلب بشر، ولا سمعوا عنه من قبل، ولا يتأتى لهم إلا من خلال أعمال وجهد مبذول.

هذا الذي يمكن أن يتفق مع اتجاه (منجم مائل) بأن الوصول له لا يكون إلا من خلال الجهد الذي يبنى به المجتمع المثالي[1] إلا أن صورةَ هذا المجتمعِ المأمولِ ظلت تتشكل أيضًا في غير تربةِ الواقع عن طريق التخيلات الخالدة لمجتمع مثالي؛ لأنها ليست بعيدة عن متناول الإنسانية التي تسعى دومًا وأبدًا لها.

فالتصورات لمجتمع مثالي ارتبطت بالفلسفة ارتباطًا وثيقًا، ولعلمهم بوجودها نادوا بها إلا أن من لا يعرف ظن أنه محض خيال. ومع ذلك فإن جاذبية اليوتوبيا، تلك الناشئة من أعماق اللاوعي، التي تعبر– وفقًا لخروجها من المصطلح اليوناني– عن اللامكان، ظلت دائمة يتم استدعاؤها وإحياؤها من آن إلى آخر، وذلك كما حدث حينما تجسدت هذه النظرة في العصر الحديث بعد حروب متعددة، فالإيمان بالماركسية التقليدية مثلاً، جاء

1- Marwa Essam: Post-Independence Drama from Utopia to Dystopia in Selected plays by Wole Soyinka and Modern Egyptian Dramatists. Submitted to the Department of English Language and Literature, Faculty of Arts, Cairo University, August 2010, p32.

باعتبارها نهجًا يوتوبيًّا عند الكثير من مفكريها[١]. إلا أن هذا الاختزال لليوتوبيا لم يرض به (بول ريكور)؛ حيث بين أن هناك اختلافًا بين اليوتوبيا والأيديولوجيا، فالأولى تمثل جنسًا أدبيًّا خالصًا مستدلاً على ذلك بأن هناك من الكتاب ما يكتب نصًّا يوتوبيًّا خالصًا ولا يتعرض لفكرة تبني أيديولوجيا معينة[٢].

فاليوتوبيا فكرة ذاتية، إنها تعني اللامكان، الجزيرة التي لا توجد على الأرض، فهي في شكلها الحقيقي الإبداع النصي الذي يتمثل في صاحب النص المستشرف في طياته المستقبل؛ فهو بلا مكان وبلا زمان إنها فكرة أدبية نحو الأفضل. ومع ذلك لا أحد ينكر عليها أن لها قدمًا راسخة في الفلسفة.

ففكرة اليوتوبيا بدأت مع جمهورية أفلاطون التي حللها (تشاد والش) بأنها دولة صغيرة تنقسم إلى ثلاث طبقات كل منها يجسد فضيلة معينة: الطبقة الحاكمة من الفلاسفة التي لم تصل إليها إلا من التعليم الطويل والمستمر، والطبقة الثانية من الجنود والمسئولين العموميين وما شابه، والطبقة الثالثة من الكتلة العظيمة من الفلاحين والعمال يربطهم الفضيلة التي تعني ضبط النفس في الوقت نفسه يسيطر عليهم الأوصياء[٣]. إن المجتمع الذي يصفه أفلاطون في جمهوريته هو الأقرب إلى المجتمع المثالي من وجهة نظر البعض، فهذا المجتمع يتكون من ثلاث طبقات تقابل العناصر الأساسية للروح والذات.

في ظل هذه القاعدة لمناهج اليوتوبيا في العصر الحديث "يستكشف (كريشان كومار[٤]) اليوتوبيا من خلال تجاور عدد من السلاسل الثلاثة المشتركة – أركاديا، وجمهورية أفلاطون وكوكايكن– للكشف عن مدى قدرة اليوتوبيا على التأثير في النظام الاجتماعي فأركاديا وصفت بأنها "زمان ومكان البساطة الريفية والسعادة"[٥]. هذه المدينة الفاضلة الأركادية

١- انظر بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تحرير جورج تيلور، ترجمة، فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة، سنة ٢٠٠٢، ص ٦٢.

٢- السابق، ص٦٢.

3- Marwa Essam: Post-Independence Drama from Utopia to Dystopia in Selected plays by Wole Soyinka and Modern Egyptian Dramatists, p32.

٤ - كريشان كومار، أستاذ علم الاجتماع بجامعة فيرجينيا. وكان سابقًا أستاذًا للفكر الاجتماعي والسياسي في جامعة كنت في كانتربري، إنجلترا.

5- Marwa Essam: Post-Independence Drama from Utopia to Dystopia in Selected plays by Wole Soyinka and Modern Egyptian Dramatists, p.٤٣

تتميز بوجود هذا التناغم بين الجنس البشري والطبيعة. ومع ذلك هناك حاجة إلى ضبط النفس الطبيعي، أي أن الاحتياجات تبقى أساسية بقدر الإمكان؛ لأن الحياة بسيطة وغير معقدة كما هو موضح في والدن هنري ثورو (١٩٣٤)[١] . في المقابل، جمهورية أفلاطون هي المجتمع المثالي الذي يؤكد إتقان الإنسان على الطبيعة والذي يحكمه "ملوك الفلاسفة، وهم المخططون المعماريون ... الأكثر ملاءمة بالتدريب والمزاج لأصعب الفنون على الإطلاق، فن الحكم."[٢]

يرجح أيضًا أن هذا المفهوم عند الإغريق إلى مصطلح إيوتوبوس (eu-topos) والذي معناه مكان الخير والفضيلة وقد اكتسب هذا المفهوم دلالته من كلمة يوطوبيا أو الطوبى وهي الكلمة التي يرجع معناها على الأرجح إلى الفردوس.[٣] وهذا المعنى الذي ورد مع (توماس مورو) في عمله الأدبي (يوتوبيا) ذلك العمل الذي تصنفه (انجيل سمعان) بأنه يعد "أكثر أعمال (توماس مور) شهرة وذيوعًا، كما تكاد تكون الأولى من سلسلة الأعمال الأدبية الفكرية التي تقدم صورة متكاملة لعالم مثالي، تختفي منه شرور عالم الواقع، وتتحقق فيه أحلام الإنسانية بالسعادة والكفاية والعدل، وذلك في قالب روائي جذاب. هذه الفكرة راودت خيال الإنسان من قديم الزمان، وتناولها الفلاسفة والمفكرون، وقدموا لها صورًا مختلفة اتخذت الطابع الديني أحيانًا والطابع الفلسفي أحيانًا أخرى، وصيغت في قالب الحوار تارة وفي قالب القصة الخيالية تارة أخرى."[٤]

لم يكن (توماس مور) فقط من سلك طريق البحث عن اليوتوبيا في الأدب " فهناك رواية «والدن تو» (١٩٤٨)، لصاحبها عالم النفس (بي إف سكينر) (١٩٠٤–١٩٩٠)؛ وهي رواية تصف مجتمعًا صغيرًا — أنشأه عالِم نفس سلوكي — رآه كثيرون على نحو

---

[١] - فن الحكومة (كومار ، ١٩٨٧ ،)، نقلاً عن مروة عصام ص ٣٥.

2- Marwa Essam: Post-Independence Drama from Utopia to Dystopia in Selected plays by Wole Soyinka and Modern Egyptian Dramatists, p32.

٣ - انظر، توماس مور، يوتوبيا، ترجمة أنجيل بطرس سمعان، المقدمة، ط٢، الهيئة المصرية العامة لكتاب، سنة ١٩٨٧، ص ١٣.

[٤] - السابق، مقدمة أنجيل بطرس، ص١٣